مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا عدد 02 خاص -أفريل2022 ص ص: 216-228
ر ت م د (ISSN): 2602-618X /ر ت م د إ (E-ISSN): 2710-8031

الصنائع والحرف بتيهرت الرستمية

The Trades and Crafts of Tehert Rustmie

ط.د. نادية نكروف ♦

مخبر الدراسات التاريخية والأثرية في شمال افريقيا، جامعة ابن خلدون-تيارت

nadia20nekrouf@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2021/10/20 تاريخ القبول: 2022/01/06 تاريخ النشر: 2022/04/30

الملخص باللغة العربية:

إن قيام الدولة الرستمية ببلاد المغرب الإسلامي كان له أثر بالغ في جعل تيهرت حاضرة في المغرب الأوسط، ذلك من خلال الاهتمام بمختلف جوانب الحياة العامة بالدولة، نذكر منها الجانب الاقتصادي حيث باشر الأئمة الرستميين منذ بداية اختطاط المدينة إلى إرساء قوانين ونظم لتسيير الشؤون الاقتصادية للبلاد، إذ يعد النشاط الصناعي من بين الأنشطة الحيوية الذي عرف تنوعا وازدهارا، تمكن من خلاله صناع وحرفيي المجتمع الرستمي تزويد الأسواق الرستمية والأسواق الخارجية بمختلف المواد المصنعة باختلافها وتنوعها، ومن بينها الصناعات الغذائية الفخارية النسيجية والمعدنية نتيجة لتوفر المواد الخام، إما ما كان يوفره النشاط الفلاحين أو ما توفرت عليه منطقة المغرب الأوسط من مواد، إضافة لتوفرها عن طريق ممارسة التجارة بجلبها من بلاد المغرب الإسلامي أو المشرق الإسلامي والسودان الغربي، وبذلك يعد موضوع الصنائع والحرف بتيهرت الرستمية من بين أهم المواضيع التي يمكن من خلالها رصد تطلعات المجتمع الرستمي في المجال الصناعي.

الكلمات المفتاحية: تيهرت؛ الرستمية؛ الصنائع؛ الحرف

Abstract: The establishment of the Rustamiya state in the Islamic Maghreb had a profound impact on the existence of Tiaret in the Central Maghreb. This through providing attention to various aspects of public life in the country, including the economic aspect. From the beginning of laying the foundations of the city, the

♦ المؤلف المرسل

Rustamid imams set out to establish laws and regulations to run the country's economic affairs. The industrial activity is among the vital activities that witnessed diversity and prosperity, through which the makers and artisans of the Rustum community were able to supply the Rustumiya markets and foreign markets with various and different manufactured materials. Among them are the food, pottery, textile, and metal industries as a result of the availability of raw materials and materials that were provided by the activity of the peasants or what the Central Maghreb region had. This is in addition to its availability through trading by bringing it from the countries of the Islamic Maghreb or the Islamic East and Western Sudan. Thus, the topic of industries and crafts in the Rustamid Tiaret is among the most important topics through which it is possible to monitor the aspirations of the Rustamiya community in the industrial field.

Keywords : Tehert - Rustmie - Trades – Crafts

مقدمة: شهد حقل التاريخ الاقتصادي الاجتماعي في العالم الإسلامي الوسيط نقلة كبرى خلال ربع القرن الأخير على يد ثلة من المتخصصين العرب من مظاهر هذه النقلة البحث عن المادة التاريخية الشحيحة في المصادر التقليدية وذلك بالرجوع إلى مظان معرفية أخرى لم يهتم بها المؤرخون بوجه عام، وفي هذا الصدد عثر الدارسون على كنوز من المادة التاريخية الجديدة التي لم توظف سلفا ارتكنوا إليها في التأريخ للواقع الاقتصادي الاجتماعي في العالم الإسلامي الوسيط، إذ يعد موضوع الصنائع والحرف بالمجتمع الرستمي من أهم المواضيع التي تقدم صورة عن مظاهر ومميزات النشاط الصناعي بالدولة الرستمية.

والواضح أن الدور الاقتصادي للصناع والحرفيين قد تعرض لعملية طمس شاملة من طرف غالبية أهل القلم القدامى، بينما عجز الموقف المستنير في أوساطهم عن كشف جميع حقائقه، رغم الخيوط المتناثرة التي قدمها بعضهم بهذا الخصوص، أما الدراسات المعاصرة فما زالت بعيدة عن تكوين صورة شاملة وواضحة عن هذه القضية، والحاصل استمرار هذا الجانب من تاريخ المغرب الأوسط الاقتصادي الاجتماعي والحضاري ملغزا في انتظار انتشال عناصره من طي النسيان، وبذلك حاولنا التطرق لمعظم الصنائع والحرف على عهد الدولة الرستمية، وبالتالي ما المنظور المغربي للصناعة؟ وما مدى جهود الحكام الرستميين في تنظيمها؟ وما هي مختلف الصنائع والحرف المنتشرة بالدولة الرستمية؟

أولا – منظور المجتمع المغربي للصناعة وجهوده لتنميتها

1- النظرة المغربية للصنائع

اختلفت الصنائع ببلاد المغرب الأوسط باختلاف درجة التطور من مجتمع لآخر، إذ نميز المجتمع البدوي الذي اعتمدت صناعته بالتركيز على كل ما هو ضروري فقط، وبذلك انحصر المجال الصناعي بتوفير الطعام والملبس والخيام والمسكن، أما صناعة المجتمع الحضري حيث يكثر السكان ويكثر العمران فتميزت بازدياد تطلعهم الى ما وراء الضروري أي يزيد اهتمامهم بالرفاهية وتوفير الكماليات، وبذلك تتسع دائرة النشاط الصناعي[1].

وفي هذا الصدد يذكر ابن خلدون: "أن الصنائع إنما تكمل بكمال العمران الحضري وكثرته"[2]، بينما خص بلاد المغرب من حيث نوعية نشاطه الصناعي معبرا بقوله :"وعجم المغرب من البربر مثل العرب في ذلك ، لرسوخهم في البداوة منذ أحقاب السنين ، ويشهد بذلك قلة الأمصار بقطرهم ... فالصنائع لذلك قليلة وغير مستحكمة إلا ما كان من صناعة الصوف في نسجه ، والجلد في حرزه ودبغه "[3].

يبدو أن ابن خلدون يصرح بتخلف الميدان الصناعي ببلاد المغرب، ويعتبر حكمه الصادر قاسيا في حق الصناعة المغربية ، وبالتالي فهو يطرح جانبا أساسيا من إشكالية الحضارة المغربية، والملاحظ أن تصنيفه للصناعة المغربية جاء في آخر القائمة للعالم الإسلامي ، فهو لا يعترف إلا بصناعتين وهما الجلد والصوف، ويعتبرهما من الصناعات التي تدل على البداوة أكثر مما تبرهن على الحضارة ، وهذا الأخير لم يولي أهمية بمشكل المواد الأولية من حيث توفرها من منطقة لأخرى، لا سيما في تلك العصور التي لم تكن فيها وسائل النقل متطورة، لا نستبعد أن حكم ابن خلدون مقرون بأوضاع العالم

---

1 جودت عبد الكريم، الأوضاع الإقتصادية والإجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين (9-10م)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992، ص 77 – 78.

2عبد الرحمن بن خلدون (ت808هـ/1406م)، المقدمة، تحقيق درويش جويدي، المكتبة العصرية، بيروت، 2002، ص 371.

3 نفسه، ص374.

الإسلامي في القرن الثامن الهجري ، ومعلوم أنه عصر تدهور وأزمات وكوارث في التاريخ الإسلامي ، وقد انعكس ذلك على النشاطات الاقتصادية بما فيها المجال الصناعي[4].

في السياق نفسه حاول الباحث "عثمان عثمان إسماعيل" تخصيص بحث قائم بذاته حاول من خلاله ابراز مواقف ابن خلدون المختلفة حول حضارة العرب ومدى تقدمها وتطورها، وخلص الباحث الى تأييد النصوص التاريخية لفكرة إنصاف ابن خلدون من تهمة التهجم على حضارة العرب، كما تأمل من جهة أخرى ونحن نشاطره الرأي فيها الى ضرورة زيادة البحث لوضع حد لاستغلال بعض المغرضين المتحاملين على حضارة العرب والمسلمين الذين يحرفون القول عن مواضعه والذين يخوضون فيما لا يعلمون، وضرورة توخي الحذر من قبل الباحثين المعاصرين عند إصدارهم الحكم على أفكار وآراء ابن خلدون وعدم استقائها من الآراء النابعة عن المستشرقين[5].

2 – تصنيف وتنظيم العمل الصناعي

إن تعدد العمل الصناعي نتيجة لاختلاف وتنوع حاجات الإنسان لعدم إمكانيته من تعلم جميع الصناعات ذلك لأنها مبنية على بعضها البعض، فالبناء يحتاج إلى النجار وهذا يحتاج إلى الحداد وهو بدوره يحتاج إلى أصحاب المعادن وهكذا احتاج الناس إلى الاجتماع معا واتخاذ المدن وتخصص كل منهم في حرفة ومبدأ هذا التخصص يؤدي إلى إتقان الصنعة والتفنن فيها بل وزيادة الإنتاج، وإن كان من زاوية أخرى يؤدي إلى جهل الصانع لصناعات أخرى، وتعدى التخصص حتى أمكن التخصص في صناعة أداة أو سلعة واحدة من مصنوعات تلك المادة[6].

وأما عن تنظيم العمل الصناعي فإن المعلومات حول هذه المسألة قليلة جدا ما عدا بعض الفقرات التي وردت في المصادر والتي من خلالها يمكننا الجزم بأن هذا النشاط

4فاطمة بلهواري ، بلهواري فاطمة ، النشاط الاقتصادي في بلاد المغرب الإسلامي خلال القرن الرابع الهجري /10م، أطروحة دكتوراه دولة في التاريخ الإسلامي، إشراف، عبد الحميد حاجيات، جامعة وهران،السانيا، 2005/2004م ، ص 161 – 162 . ينظر أيضا فاطمة بلهواري ، الصناعة في المنظور المغربي بين التنظير والواقع التاريخي ، مجلة عصور ، العدد 6 – 7 ، جامعة وهران ، الجزائر ،2005، ص 237 – 249.

5 عثمان عثمان إسماعيل ، إنصاف ابن خلدون من تهمة التهجم على العرب ، مجلة المناهل ، العدد 1 ، الرباط ، المغرب ، 1974 ، ص 198 – 215.

6 عبد الكريم جودت، المرجع السابق، ص 79.

خضع لتنظيم ومراقبة شديدين فلقد كانت الأسواق تمثل الأماكن التي ينشط بها الحرفيون، حيث سمح الأئمة الرستميين بتعدد الاسواق في مدينة تيهرت وتنوعت ملكيتها فنجد سوقا ملكا لابن وردة الفارسي وكانت هذه الأسواق عامرة ونشيطة[7]، وقد خص الرستميون الأسواق عناية خاصة بحرصهم على نظافتها وتنظيم الحركة فيها ومنع أنواع الغش التي يمكن أن تحدث فيها[8].

ومن المعلوم أن الأسواق في المدن الإسلامية كان يشرف على مراقبتها وتنظيمها جماعة من الموظفين ومن هؤلاء المحتسب الذي أوكلت إليه مهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر غير أننا لا نجد ذكرا لهذا الموظف في المصادر التي أرخت لتيهرت الرستمية[9]، ولكن ابن الصغير يقدم لنا معلومات جد هامة حول هذا الموضوع ومن خلالها يمكننا أن نستخلص بأن أسواق تيهرت كانت قمة في التنظيم والأمن والنظافة فنده يذكر أنه في عهد الإمام أفلح كان صاحب شرطته إذا تجول في المدينة ليتفقد أحوالها لم يكن يتجرأ على دخول السوق ابن وردة وكان هذا الأخير مقدما للعجم ولما اكتسبه من ثروة ومكانة بنى سوقا خاصة به كما ذكرنا سابقا[10]، كما أوكلت مهمة الأمن والنظام في المدينة على رجال من قبيلة نفوسة حيث كانت هذه الأخيرة " تلي عقد تقديم القضاة وبيوت الأموال وإنكار المنكر في الأسواق والاحتساب على الفساد"[11]، وكان أبو اليقضان لما دخل إلى تيهرت عين رجالا من نفوسة " يمشون في الأسواق فيأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر... فإن رأوا قصابا ينفخ في شاة عاقبوه، وإن رأوا دابة حمل عليها فوق طاقتها انزلوا حملها وأمروا صاحبها بالتخفيف عنها، وإن رأوا قذرا في الطريق أمروا من حول الموضع أن يكنسه"[12].

أما الإمام أبو حاتم فإنه لما دخل المدينة ورأى ما انتشر فيها من فساد الأخلاق والفوضى قرر تعيين كل من زكار وإبراهيم بن مسكين على جهاز الشرطة فتمكنا في فترة

---

7 أحمد بن علي القلقشندي (ت821ه/1418م)، صبح الاعشى في صناعة الإنشا (ت821ه/1418م)، ج5، تحقيق يوسف علي الطويل، مطبعة الجامعة، الإسكندرية، 1987، ص106.

8 صفي الدين محي الدين، "حرفة التجارة في تاهرت الرستمية"، مخبر البحوث الاجتماعية والتاريخية، العدد4، جوان 2013، ص393.

9 عبد الكريم جودت، المرجع السابق، ص168.

10 ابن الصغير (عاش في ق3ه) ، أخبار الأئمة الرستميين، تحقيق محمد ناصر وإبراهيم بحاز، المطبوعات الجميلة، الجزائر، 1986، ص62-63.

11 ابن الصغير، المصدر السابق، ص63.

12 نفسه، ص88.

وجيزة من تطهير المدينة وإعادة النظام فيها وكان من بين الأماكن التي خضعت لهذا التنظيم الأسواق التي وجد فيها الحرفيون[13].

فجرت العادة أن يتخذ الصانع حانوتا، يسيره بنفسه أو تساعده عائلته أوشركاء له، وقد يعمل الصانع أحيانا في بيته، ويمكن أن يعمل بمفرده أو مع جماعة، إذ أن بعض الصنائع تحتاج إلى عدد من العاملين، وبعض الصناع يعملون لحسابهم فيبيعون منتجاتهم بأنفسهم، والبعض يعمل لحساب آخرين مقابل أجرة يومية محددة أو حسب وحدة الإنتاج، وهذا الأخير قد يعمل بأدواته ومواده الخام الخاصة، أو يشتغل بأدوات ومواد مستأجريهم، وكان صاحب المحل يسمى "المعلم" وهو يتمتع بكافة الحقوق وإليه تعود كافة الأرباح، ويكون إلى جانبه الصبيان، وفي الغالب يكونون أبناء المعلم نفسه لضمان انتقال الحرفة وتوريثها في العائلة لعدم زوالها[14]، مما سبق يظهر أن مكانة الصانع والحرفي بالمجتمع الرستمي ضمن طبقة العامة كما عبره عنه ابن الصغير إذ ميزهم عن غيرهم من الفئات العديدة التي ذكرها وكأنهم أصبحوا على عهد الامام أبي حاتم فئة اجتماعية لها سماتها الخاصة وقد ربطها بطبقة العوام معبرا في عن ذلك بقوله:" والعوام وأهل الحرف ومن لف لفهم"[15]،

وقد أفاد ابن حوقل عن ظاهرة انتشار مصانع كثيرة تحوي عدد كبير من الصناع معبرا عن ذلك في قوله :"ولغير المياسير فنادق وخانات يسكنها أهل المهن وأرباب الصنائع بالدكاكين المعمورة والحجر المسكونة والحوانيت المشحونة بالصناع كالقلانسيين في سوقهم"[16].

ويظهر أن للصناع قدرة فائقة لتمييز صناعات بعضهم البعض التي يصعب على عامة الناس تمييزها، وربما لعلامة بها أو درجة إتقانها أو نوع المادة الخام المستعملة، كما لوحظ أن أصحاب المهن كانوا يرتدون أزياء خاصة بصناعاتهم ولكل مهنة زي خاص بها[17]،

---

13 نفسه، ص116.

14 عبد الكريم جودت، المرجع السابق، ص80-81.

15 ابن الصغير، المصدر السابق، ص345.

16 محمد بن علي النصيبي ،ابن حوقل (367هـ/978م)، صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، لبنان، 1992، ص362.

17 عبد الكريم جودت، المرجع السابق، ص82.

ولا تشير المصادر إلى وجود تنظيم نشاط حرفي نقابي ببلاد المغرب الأوسط في القرن الثالث الهجري[18].

إضافة إلى ما سبق ذكره فإننا لا نملك معلومات حول توزيع النشاط الحرفي في المدينة ولكن على العموم يظهر أن الحرف النبيلة كالصياغة والخياطة والنسيج كانت توجد في داخل المدينة في حين الحرف الوضيعة التي تسبب أذى الناس من خلال الروائح الكريهة أو الأصوات المزعجة كالدباغة والحدادة فإنها كانت تمارس خارج المدينة[19].

ثانيا - الصناعات الرئيسية

1-الصناعة الغذائية

، اعتبرت صناعة زيت الزيتون من الصنائع الرائجة خلال العصر الوسيط عامة ومرحلة هذه الدراسة خاصة، إذ تثبت النصوص التاريخية من خلال المصادر انتشار معاصر الزيتون عبر مختلف أرجاء البلاد ، وهذا راجع لتوفر هذه المادة ،وكانت المعاصر تدور بالماء أو بدواب الحمل ونوعية الزيت تدل على كيفية استخراجه منها: زيت الماء وهو أفضل الزيوت وأجوده ، وأدناها الزيت المغلي ، ومن المرجح أنها كانت تخزن في جرار وأزيار وخوابي، وكانت هناك زيوت أخرى تستخرج من بذور بعض النباتات مثل زيت الفجل وزيت الخروع وزيت السمسم وزيت بذر الكتان[20].

ومما يؤكد على كثرة منتوج الزيت توفره بأسعار منخفضة بأسواق تيهرت حسب نص أورده البكري بقوله:" ... وقنطار الزيت وغيره عندهم قنطاران غير ثلث إلا المجلوب من الفلفل وغيره فإنه قنطار عدل، ورطل اللحم عندهم خمسة أرطال"[21]، ناهيك عن المنتجات الحيوانية كالعسل والسمن وغيرهما[22]

2-الصناعة النسيجية

---

18 نفسه، ص88.

19 نفسه، ص85.

20 نفسه، ص112.

21 أبو عبيد الله البكري (ت487هـ/1094م)، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، جزء من كتاب المسالك والممالك، دار الكتاب المصري، مصر، دت، ص250.

22 محمد بن عبد المنعم الحميري (ت900هـ/1495م)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، ط2، 1980، ص126.

اعتبرت صناعة النسيج من الصناعات البارزة في المجتمع المغربي ، وذلك لسعة انتشارها بسبب توفر المواد الخام الضرورية كالصوف والحرير والقطن والكتان، وبسبب حاجة الناس إليها على اختلاف طبقاتهم وفئاتهم وربما كان لكل جهة إنتاجها الخاص إلا أن الاحتكاك الواسع بين الشعوب في ظل الإسلام قد مزج بين الأنماط فأنتج زيا يمكن اعتباره الزي الإسلامي وتأثر النسيج المغربي بالفارسي وبالأندلسي إلى غير ذلك حتى أصبح نسيج مختلف مناطق البحر الأبيض المتوسط متشابها فكان من نفس المادة الأولية ومزينا بصور أو بكتابات عربية وذا ألوان متشابهة ويحمل نفس الزركشة، ولم يشر المؤرخون إلى صناعة النسيج بسبب الوفرة في العهد الرستمي ولكن من المحتمل أنهم اهتموا بها لعلاقة الصناعة بالتجارة[1]، فيما أورده ابن الصغير:" ما رأيت شرفة من القصرين إلا عليها ثوب أحمر وأصفر[2]، وقد عرفت تيهرت صناعة الخز وهو نسيج من صوف وحرير، ويبدو أن هذا النسيج كان قيما فإن الجاحظ يذكر خير الصناعة الخز وكانت تصنع من الخز ملابس متنوعة مثل قلنسوة خز أو جبة خز، هذا بالإضافة إلى شهرة البلد في صناعة خيامهم وهي صناعة متوارثة والخيمة من الصوف تدعى الخباء والمصنوعة من الشعر تدعى الفسطاط والمصنوعة من الوبر تدعى البجاد والمصنوعة من القطن تدعى السرادق وهناك خيام مصنوعة من جلد خاص تدعى الطراف[3].

3- الصناعة المعدنية:

إن توفر بلاد المغرب على مواد معدنية خام نتج عنه قيام صناعات معدنية مهمة ، إذ تشتهر مدينة بونة بمعدن الحديد[4]، وكل من منطقة الآريس وعين زياد[5]، كما عرفت بجاية بوجود معدن الحديد الطيب بها[6]، وثمة بعض الأدوات التي كانت تصنع من الحديد الحديد كالسكين ، الخنجر ، المقص ، الإبرة ، الملاعق ، الكلاليب أمواس الحلاقة ، الحذوات للخيول ، المسامير ، وبعض الأدوات الازمة للفلاحة كالمحارث ، المساحي ، والفؤوس[7]، وكان المتخصص في هذه الصنعة يدعى الحداد[1]، إلا أن المصادر المعول عليها

---

1 عبد الكريم، المرجع السابق، ص89-90.

2 ابن الصغير، المصدر السابق، ص336.

3 عبد الكريم جودت، المرجع السابق، ص95.

4 ابن حوقل، المصدر السابق، ص77.

5 نفسه، ص86.

6محمد الإدريسي (ت559/1166م)، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، ج1، مكتبة الأفاق الدينية، القاهرة، 2002، ص90.

7جودت عبد الكريم، المرجع السابق، ص121.

عليها لا تقدم معلومات ذات أهمية في هذا المجال ما عدا ما ذكره البكري من أن جبل أرزيو كان يحوي كميات من معدن الحديد والزئبق وخشب العطور[2]، فمن الأكيد أن حرفي تيهرت كانوا قد استفادوا من هذه المواد ، والدليل على ذلك ما عرفته المدينة من توسع عمراني ونشاط اقتصادي وانتشار للثروة والبذخ[3].

وقد نجد من الإشارات[4] الدالة على بعض الأسلحة المستعملة خلال العهد الرستمي، فقد احتوى بيت عبد الرحمن بن رستم على السيف والرمح[5]، والحربة كذلك من ادوات القتال تستعمل في الطعن من القريب والبعيد[6]، وقد ذكر ابن الصغير[7] استخدام الحربة في المعارك بتيهرت.

كما لجأ الرستميون إلى استيراد بعض المواد الأولية لتلبية متطلبات هذا النشاط الحرفي وخاصة المعادن الثمينة كالذهب والفضة التي كانت تستورد من السودان وخصصت لصك العملة وصناعة المجوهرات[8]، لقد توفر الذهب في إحدى مناطق بلاد المغرب كجربة [9]، تازا [10]، سجلماسة [11]، إلا أنه لم يحقق الاكتفاء للمنطقة لقلته ، فقد لعب الذهب المجلوب من بلاد السودان عبر القوافل التجارية دورا هاما في تغطية حاجيات هذه الصناعة في بلاد المغرب، وذلك حسب ما أشار إليه الزهري في أن القوافل

1القاضي النعمان (ت636هـ/974م)، افتتاح الدعوة، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، 2005، ص164.

2البكري، المصدر السابق، ص70.

3محمد بوشنافي، " مقومات النشاط الحرفي وتنظيمه على عهد الرستميين"، مخبر البحوث الاجتماعية والتاريخية، جامعة سيدس بلعباس، العدد4، 2013، ص157.

4 تطرقت أحد الدراسات الراهنة إلى موضوع الأسلحة بالدولة الرستمية، حيث حاول صاحبها إحصاء مختلف الأسلحة التي استخدمها الرستميين؛ ينظر: إبراهيم بحاز، "أنواع الأسلحة وتنظيم القتال وأساليبه عند الرستميين"، **مجلة الواحات للبحوث والدراسات**، المجلد9، العدد1، 2019، ص686-695.

5 ابن الصغير، المصدر السابق، ص29.

6 إبراهيم بحاز، المرجع السابق، ص688.

7 ابن الصغير، المصدر السابق، ص67، 71.

8سليمان بن عبد الله الباروني، مختصر تاريخ الإباضية، مطبعة الإدارة، تونس، ط2، 1938، ص44.

9 البكري، المصدر السابق، ص85.

10نفسه، ص118.

11أبو عبد الله محمد المقدسي (ت336هـ/947م)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ليدن، 1906، ص231.

الخارجة من السوس الأقصى تتجه نحو بلاد جناوة وغانة والحبشة وكوكو وزافوا لجلب التبر والعبيد والعاج وأنياب الفيلة والجلود ودرق اللمط[1]، وتشير المصادر الى أن هذه المادة قد تعددت إستعمالاتها ، فكانت اللجام والسروج محلاة بالذهب والفضة[2]، أعتبرت مدينة مجانة أكثر مدن بلاد المغرب توفرا بمعدن الفضة[3]، كما ذاعت شهرتها لأن بها معدنا لقطع حجارة الأرحاء حتى سميت بمجانة المطاحين[4] إلا أن الدارس لهذا المجال يجد نفسه أمام عقبات كبيرة لضعف المادة التاريخية حول الموضوع في مختلف المصادر حتى تلك التي أطنبت في الحديث عن تاريخ هذه الدولة.

الصناعة الفخارية والخزفية: صنع سكان بلاد المغرب كثيرا من الأواني الفخارية التي يحتاجونها للاستعمال المنزلي، فصنعوا القلال والجرار والكؤوس والأطباق وشهدت صناعة الاواني الفخارية تطورا في تيهرت الرستمية فقد كشفت الدراسات الأثرية التي قام بهل جورج مارسيه عن كثيرا من القطع الفخارية والمطامير والأفران بعد الحفريات التي أجراها في الموقع عام1940[5].

صناعة الأرحية:

شرع أهل تيهرت منذ عهد الإمام عبد الرحمن بن رستم في اتخاذ الرحى، ويبدو أن الأرحية فيها كانت مجتمعة في موقع واحد يؤدي إليها أحد أبواب المدينة حتى أطلق عليها باب المطاحن[6]، وقد تعددت مجالات استخداماتها كالطحن والعصر كما استعملت لتزويد السكان بالمياه وسقي الأراضي الزراعية، وعلى حسب ابن حوقل أنها كانت تصنع من

محمد بن أبي بكر الزهري (توفي بين 1154-1161م)، كتاب الجغرافيا. تحقيق محمد الحاج الصادق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، دت، ص118.1

2ابن حماد الصنهاجي (ت628ه/1231م)، أخبار ملوك بني عبيد وسيرهم، تحقيق تهامي نقرة، عبد الحليم عويس، درا الصحوة، القاهرة، دت، ص69.

3ابو العباس اليعقوبي (ت284ه/879م)، كتاب البلدان، دار إحياء التراث، بيروت، 1987 ، ص106.

10مؤلف مجهول، الاستبصار في عائب الامصار وصف مكة والمدينة والمغرب، نشر وتعليق ، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1985، ص162.

5 عبد الكريم جودت، المرجع السابق، ص118.

6 نفسه، ص107-108.

الحجارة التي اشتهرت بها مجانة [1]، وأكد نفس الحقيقة صاحب الاستبصار إذ عند حديثه عن مدينة مجانة ذكر أنّها تعرف بمجانة المطاحين لأن بها معدنا لقطع حجارة الأرحاء[2].

والظاهر أن الأرحية كانت تنتشر في المناطق المائية، إذ ذكر صاحب الاستبصار أن مدينة سبيبة "ذات مياه سائحة تطحن عليها الأرحية"[3]، وفي السياق نفسه أشار المقدسي إلى طريقة عمل الأرحية حيث توضع على أفواه الأنهار فإذا خرج الماء أدارها[4]، واشتهرت مدينة تيهرت بكثرة الرحى[5].

ويبدو أن بعض المنازعات كانت تقع بين صاحب القمح وصاحب الرحى إمّا بشأن الأجرة أو مباشرة الطحن لأحد الأشخاص قبل الانتهاء كليا من طحن القمح الأول، والملاحظ أن صاحب الطاحونة كان يتكفل في بعض الأحيان بنقل القمح من منزل صاحبه إلى الطاحونة[6].

كما عرفت الحرف ذات العلاقة بتربية المواشي ازدهارا بتيهرت ومنها حرفة الجزارة التي كانت تخضع لمراقبة شديدة من قبل المكلفين بالسهر على النظام في الأسواق حتى أنهم كانوا إذا " رأوا قصابا ينفخ في شاة عاقبوه"[7]، وعموما يظهر أن سعر اللحوم كان في متناول فئة عريضة من المجتمع خاصة مع ما كانت تحضره القبائل الرعوية إلى المدينة من مواشي كمزاتة وسدراتة لتقايضها بسلع أخرى ورافق ذلك ازدهار صناعة الجلود[8].

خاتمة: وتتمة القول، أن أفراد المجتمع الرستمي منذ اختطاط مدينة تيهرت من قبل عبد الرحمن بن رسم وقيام الدولة الرستمية اتجهوا إلى ابراز قدراتهم ومواهبهم في المجال الحرفي والصناعي، مما نتج عنه تنوع المنتوج الصناعي وكثرته وتوفير مختلف متطلبات وحاجيات الحياة العامة في المجتمع الرستمي، وقد اعتمد النشاط الحرفي الصناعي بالدولة الرستمية على ما يوفره النشاط الفلاحي والموارد الطبيعية للمنطقة إضافة

1ابن حوقل، المصدر السابق، ص75.
2مؤلف مجهول، الاستبصار، ص162.
3نفسه، ص161.

4 المقدسي، المصدر السابق، ص165.
5ابن الصغير، المصدر السابق، ص33.
6جودت عبد الكريم، المرجع السابق، ص109.
7ابن الصغير، المصدر السابق، ص88.
8محمد بوشنافي، المرجع السابق، ص159-160.

إلى المواد المجلوبة من المناطق والبلدان المجاورة مما يوفره النشاط التجاري داخليا كان أم خارجيا، والملاحظ أن الأئمة الرستميين كان لهم دور بارز في تنظيم النشاط الحرفي.

المصادر والمراجع:

ابن الصغير (عاش في ق3ه)، أخبار الأئمة الرستميين، تحقيق محمد ناصر وإبراهيم بحاز، المطبوعات الجميلة، الجزائر، 1986.

ابن حماد، الصنهاجي (628ه/1231م)، أخبار ملوك بني عبيد وسيرهم، تحقيق تهامي نقرة، عبد الحليم عويس، درا الصحوة، القاهرة، دت.

ابن حوقل، محمد بن علي النصيبي (367ه/978م)، صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، لبنان، 1992

ابن خلدون، عبد الرحمن (ت808ه/1406م)، المقدمة، تحقيق درويش جويدي، المكتبة العصرية، بيروت، 2002.

الإدريسي، محمد (ت559ه/1166م)، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، ج1، مكتبة الأفاق الدينية، القاهرة، 2002.

الباروني سليمان بن عبد الله، مختصر تاريخ الإباضية، مطبعة الإدارة، تونس، ط2، 1938.

بحاز إبراهيم، "أنواع الأسلحة وتنظيم القتال وأساليبه عند الرستميين"، **مجلة الواحات للبحوث والدراسات**، المجلد9، العدد1، 2019، ص686-695.

البكري، ابو عبيد الله (ت487ه/1094م)، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، جزء من كتاب المسالك والممالك، دار الكتاب المصري، مصر، دت.

بلهواري فاطمة، "الصناعة في المنظور المغربي بين التنظير والواقع التاريخي" ، مجلة عصور ، العدد 6 — 7 ، جامعة وهران ، الجزائر ، 2005.

بلهواري فاطمة، النشاط الاقتصادي في بلاد المغرب الإسلامي خلال القرن الرابع الهجري /10م، أطروحة دكتوراه دولة في التاريخ الإسلامي، إشراف، عبد الحميد حاجيات، جامعة وهران،السانيا، 2004/2005م.

بوشنافي محمد،" مقومات النشاط الحرفي وتنظيمه على عهد الرستميين"، مخبر البحوث الاجتماعية والتاريخية، جامعة سيدس بلعباس، العدد4، 2013.

جودت عبد الكريم، الأوضاع الإقتصادية والإجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين (9-10م)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992.

الحميري، محمد بن عبد المنعم (ت900ه/1495)، الروض المعطار في خبر الأقطار ن تحقيق إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، ط2، 1980.

الزهري، محمد بن أبي بكر (توفي بين 1154-1161م)، كتاب الجغرافيا. تحقيق محمد الحاج الصادق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، دت.

عثمان عثمان إسماعيل، إنصاف ابن خلدون من تهمة التهجم على العرب، **مجلة المناهل** ، العدد 1 ، الرباط ، المغرب ، 1974 .

القاضي النعمان (ت363هـ/974م)، افتتاح الدعوة، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، 2005، ص164.

القلقشندي أحمد بن علي (ت821هـ/1418م)، صبح الاعشى في صناعة الإنشا ، ج5، تحقيق يوسف علي الطويل، مطبعة الجامعة، الإسكندرية، 1987.

محي الدين صفي الدين، "حرفة التجارة في تاهرت الرستمية"، مخبر البحوث الاجتماعية والتاريخيةن العدد4، جوان 2013، ص385-400.

المقدسي، أبو عبد الله محمد (ت336هـ/947م)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ليدن، 1906.

مؤلف مجهول، الاستبصار في عائب الامصار وصف مكة والمدينة والمغرب، نشر وتعليق، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1985، ص162.

اليعقوبي، أبو العباس (ت284هـ/897م)، كتاب البلدان، دار إحياء التراث، بيروت، 1987.